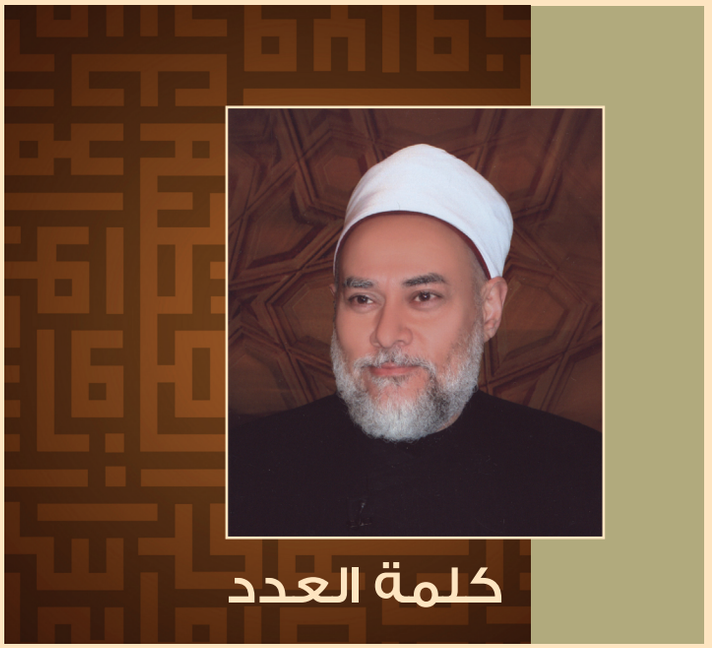

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين. وبعد..

فـإن البحث العلمي من أبرز ملامـح التقدم ومظاهر الرقي الحضاري ونهضة الأمم؛ فلا يمكن تحديث الدولة وتنمية المجتمع حضاريًّا بمعزل عن البحث العلمي كأداة جوهرية في إبراز الحقائق وكشف الغوامض.

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] واستعمال أفعال الأمر «سيروا، وانظروا» وهي تفيد الوجوب، والكلام عن الأرض وهو يفيد العموم، والاستقراء والتتبع في قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ [ق: ٦]، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعـراف: ١٨٥]– المتأمـل في كل ذلـك يتضـح له أن البحث بصفة عامة والعلمي منه بصفة خاصة مما يدخل في نطاق التوجيهات الربانية والتشريعات الإلهية؛ فإن الله سبحانـه وتعالـى شرع السير في الأرض والنظر والتأمل والاعتبار مطيةً لنفع الكون والإنسان بالعلم والعلماء، وفَضَّل العلماء على غيرهـم فقـال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].

والبحث العلمي –وفق وجهة نظر اليونسكو– هو: «عمليات الدراسة والتجربة وصياغة المفاهيم واختيار النظريات التي تدخل في توليد المعرفة العلمية»، وهو من هذا المنطلق يحدد الاحتياجات ويبين الحلول ويوفر المسائل اللازمة لتحقيقها.

وقد وضع العلماء المسلمون الأسلوب المنهجي في البحث والتأمل والاستدلال لجميع المعارف والعلوم النظرية والتطبيقية، ومن معا لم ارتقائهم بالبحث العلمي التزامهم بمنهج علمي ثابت ينبني على قواعد عامة متعارف عليها لها ارتباطها بالبحث الدائب الأصيل عن حقائق المعرفة.

وقد سبر العلماء المسلمون غور جميع المناهج المستخدمة في البحث العلمي فقرَّبوا المنطق التقليدي وعرَّبوه واستخدموه، وتوسعوا في القياس وأدخلوه في دراستهم للعلوم الشرعية كأصول الفقه وغيره، كما انتهجوا المنهج الرياضي فاستخدموا الرموز ووضعوا قواعد الجبر، وعرفوا الهندسة وابتكروا فيها وأضافوا إليها، كما اهتدوا إلى أسلوب مهم من أساليب التفكير هو الاستقراء، وكذلك استخدموا في بحثهم في العلوم الاجتماعية المناهج المناسبة لذلك.

و لم يفصل العقل العلمي عند المسلمين بين المناهج العلمية في أبحاثهم، ولكنهم كانوا يستخدمونها حيث يجب أن تُستخدم، وذلك لأن العقل العلمي عندهم يتميز بحرصه على تحديد مصادر المعرفة والتفرقة الدقيقة بين مجالاتها المختلفة، فالمجال الحسي كالكيمياء والطبيعة يختلف عن المجال العقلي كالرياضيات، وهو بدوره يختلف عن المجال النقلي كشأن اللغة والشريعة، وقد تتداخل هذه المجالات كما هو الشأن في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ولكل مجال منهج بحثه وترتيب أدلته.

و لم يذهب علماء الإسلام إلى مثل ما ذهب إليه ديكارت حيث قال: إن المنهج الرياضي يصلح دون غيره لجميع أنواع العلوم، بل آمنوا بكل طريقة وأسلوب يوصل إلى نتائج صحيحة ما دام هذا الأسلوب يتفق مع العقل البشري، وعن هذه المناهج العربية نقل علماء الغرب مناهجهم وطوّروها وأكثروا من استخدامها، فاشتهر منهم أساطين رسخوا دعائم العلم الحديث أمثال برتراند رسل وفرنسيس بيكون ، فالبحث العلمي يستخدم الآن من المناهج ما يتفق وطبيعة العلم، فالمنهج الرياضي والمنطق والاستقراء ومنهج علم الاجتماع والمنهج التاريخي هي المناهج العلمية السائدة في العصر الحاضر، وهي في الأصل مناهج كان يستخدمها المسلمون في عصر مجدهم العلمي.

وإن تحليل هذا العقل العلمي لأسلافنا وما تركه من موروث حضاري للوقوف على سماته ومناهجه العلمية، ومن ثَمَّ سِرْنا على خطاه في العناية بالبحث العلمي –هو نقطة البداية الصحيحة لمشاركتنا في بناء الحضارة الإنسانية، فالعالم في حاجة إلى المسلمين وتراثهم وطريقة تفكيرهم، وتجربتهم في استيعاب الحضارات وتلاقح الأفكار واستنباط صيغ جديدة في التعامل مع كافة مجالات الحياة.

وإذا كان البحث في العلوم التجريبية له أهمية كبرى في حضارتنا المعاصرة، فإن البحث في علوم الشريعة الإسلامية لا يقل أهمية عن البحث في فروع المعرفة الأخرى، وهو وإن كان له منهج بحث وترتيب أدلة خاص؛ إلا أن الباحث فيه لا يخرج عن إطار العقل

العلمـي بمـا يتسم به من تحديد طرق البحث، وترتيب الأدلـة، والرؤية الكلية، وعدم إهمال الجزئيـات، وتأصيل المسائل وتفصيلها، ووضع المصطلحات بإزاء المفاهيم، والاعتماد على الحقائق دون الانطباعات والرغبات والأوهام؛ لأنه عَلِم وتيقن أن: حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق.

وللعقيدة الراسخة أن البحث العلمي هو الحكم والمعيار في القضايا العويصة والميزان المرضي فيما يقرره من نتائج، فقد اعتنت مجلة دار الإفتاء المصرية بنشر الأبحاث العلمية الشرعية خاصة لشباب العلماء والباحثين من مصر ومن خارجها وفق ضوابط علمية دقيقة. وقد التزمت مجلة دار الإفتاء المصرية بنشر بحوثها وفق ما وضعته من ضوابط طوال سنتين صدرت فيهما أعدادها الستة، وكانت المجلة في الأعـداد التـي صدرت عنها –وستظل بتوفيق الله تعالى– منبرًا من منابر النخبة في مجال البحث العلمي في فروع الشريعة؛ فكفلت لهم نشر آرائهم وأفكارهم في بحوث علمية متخصصة تتناول بعمق القضايا المثارة بطريقة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

والمتأمـل في البحـوث التـي نُشرت في مجلة دار الإفتاء المصرية منذ بدايـة صدورها –رغم قلة ما صدر منها من أعداد– يرى مدى التنـوع في الأبحـاث المنشورة فيها، والموازنة بين فروع المعرفة الشرعية المختلفة التي تُعنـى المجلة بالنشر فيها؛ فقد تنوعت الأبحاث المتخصصة المنشورة ما بين أبحاث في أصول الفقه وأخرى في القواعد والنظريات الفقهية وثالثة في الفقه بأقسامه المختلفة، فنشرت المجلـة الأبحاث العلمية العميقـة في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية وما يتعلـق بالسياسة الشرعية، كما يلاحظ مدى تميز نتائج كل بحث من هذه الأبحاث وما أضافه في مجال البحث الشرعي من قضايا جديدة وتَنَاوُل جمع بين الأصالة والتجديد.

كمـا لا يخفـى على المتابع لأعداد المجلة ما للبحوث المنشورة فيها مـن أثر على اتجاهات الفتاوى الصادرة من دار الإفتاء المصرية ومساعـدة أمانـة الفتـوى في إدراك الواقع على ما هو عليه ومعرفة الحكم الشرعي فيه، والذي ينعكـس على الفتوى بطبيعتها المتغيرة حسـب الزمـان والمكان والأحوال، ويظهر ذلك جليًّا إذا قارنا بين ما نشر في المجلة من أبحاث مثل رتق غشاء البكارة وحكم العقود الفاسدة في ديار غير المسلمين وما صدر عن دار الإفتاء من فتاوى بخصوص هذه القضايا.

وفي هذا العدد تواصل المجلة تأدية رسالتها بطائفة متميزة من الأبحاث العلمية في أبواب الفقه الإسلامي وأصوله، وقد روعي في اختيار هذه الأبحاث أن تكون إضافة مناسبة تتواءم مع طموحات أبناء هذه الأمة وتسير في نطاق الأهداف المخططة في سبيل صلاح الأمة ونهضتها، والذي لن يكون إلا بالمبادرة إلى امتثال الأوامر الواردة في النصوص الشرعية، وهو ما شرحه وبينه من الجهة الأصولية الدكتور عبد السلام عبد الفتاح عبد العظيم في بحث طيب عن كون الأمر بالشيء يقتضي المبادرة إليه أو لا يقتضيها.

ثـم الترقـي في سُبل الإصلاح الاجتماعي بالبدء في مراعـاة الفئة المستضعفة من أبناء الأمة، وهو ما اهتم به الدكتور محمود حربي عبد الفتاح في بحثه الذي تناول فيه مشكلة أطفال الشوارع ودور الدولة في الولاية عليهم.

و لم تُغفل المجلة سبيلا مهمًّا من سُبل الإصلاح، وهو التعليم؛ فقدم فيه الباحث وحيد أحمد عبد الجواد توصية بتفعيل دور الوقف وتطويـره بمـا يتلاءم مع الوقت الراهن، وذلك في بحثـه عن دور الأوقاف في تمويل نشاط التعليم والبحـث العلمي. وفي مجال الحياة

الاجتماعيــة يقــدم الدكتور محمد علي عكاز دراسة تتضمن التأصيل الشرعي والتكييف الفقهــي للحق التعاوني الذي أصبح في أيامنا هذه شيئًا كبيرًا ومهمًّا.

وأخيرًا ندعو الله سبحانه وتعالى أن تكون مجلة دار الإفتاء المصرية بما تقدمه من بحوثٍ خادمةً لشريعة الإسلام وطريقًا لهداية متبعيه إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأستاذ الدكتور / علي جمعة

مفتي الديار المصرية